مَظاهِرُ الإسْتِدْلالِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ

(الجزءُ الأولُ)

مَظاهِرُ المبَانِي الإسْتِدْلالِيَّةِ

أ.م.د. محمد محمود عبود زوين
كليةَ الفقهَ - جامعةَ الكوفةَ

فحوى البحث

قامت هذه الدراسة على بحث بعض ملامح مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم. وقد قام القسم الاول من البحث على تمهيد وقسمين فضلا عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر (وهو ما سيرد في القسم الثاني منه). وقد عرف التمهيد بمصطلح (الاستدلال). ودرس القسم الاول: (مظاهر المباني الاستدلالية في القرآن الكريم) من خلال منظومتها، واستعرض حلقاتها واوضح بنيتها النظرية والعملية.

اما القسم الثاني من البحث فقد ناقش (مظاهر المعاني الاستدلالية في القرآن الكريم) وهو ما سنقرؤه في العدد القابل ان شاء الله –تعالى –.

المقدمة

الحمد لله الذي فتَّق جنائن العقول بسوابغ نعمه، وألهم بصائر عباده فطرة توحيده، فأعزهم بمعرفته، وكرمهم بطاعته، وجعلهم آيةً من آيات خلقه، وبرهاناً على سلطانه وحكمته، وصلى الله على نبيه المؤيَّد ورسوله المسدد، أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الأطهار، وأصحابه الخلص الميامين المنتجبين.

وبعد...

فقد أسس القرآن الكريم قواعد المعرفة الاستدلالية، وأصَّل لمظاهرها البرهانية في محكم آياته ورسخها في خطابه بأساليب كثيرة، وطرائق مختلفة عمادها الجمع بين العقل والحس، فمن جهة ترى أصالة منطق البرهان وعقلانيته، ومن أخرى تلحظ أنه غير بعيد من روح الإنسان ومشاعره، فهو مشخص في نفسه، ملموس في فاعليته الحياتية اليومية، مدرك بحواسه الموصلة إلى التفكر والتدبر.

لقد امتاز الخطاب القرآني المعجز بمفاهيمه العقلية، وأساليبه البيانية، التي تمتلك نفوس المخاطبين بما لها من احتجاجات جمعت بين الدلائل الأنفسية، والآيات الآفاقية في توكيد العقائد والشرائع السماوية ونقض ما عداها، من خلال منظومة استدلالية برهانية متكاملة الأبعاد، ولا أحسب قضية قرآنية إلا وتجد لها طريقا من فرائد الاستدلال، وبينة من نوادر الآيات؛ إيضاحا لمقاصدها، فتبصرها أقرب للقلوب، وأرسخ في العقول؛ لأنها متجانسة مع فطرة الإنسان ولبابه.

فالمتأمل بكتاب الله المجيد تأسره مظاهر الاستدلال الذي يسخر هذا الوجود بأكمله ويوظفه ويقدمه للإنسان- المخصوص بخطاب القرآن -مُعقْلناً متناسبا مع جِبلَّته؛ سعيا في بنائه النفسي والسلوكي، وصناعة النموذج المثالي في وعيه لنفسه وإدراكه لما حوله في هذا الوجود سواء ما كان منه ومضى، أو ما هو كائن، وما سيكون ولو بعد حين.

وعلى أية حال فقد قامت هذه الدراسة على بحث ملامح ((من مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم)) قصداً لاستكشاف جوانب المنظومة الاستدلالية ومحاولة المقاربة بين مبانيها ومعانيها التفسيرية،

وأُسس علة البحث وفرضيته لا تفارق هذه الغائية والقصدية في الاستكشاف، بل تنهض اعتماداً عليه، وتقوم على استكناه معالم أبعاده؛ ولذا جاء البحث في تمهيد وقسمين فضلا عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، وقد عرَّف التمهيد بمصطلح (الاستدلال في اللغة والاصطلاح والاستعمال) وأشار إلى علاقاته الدلالية والألفاظ المتداخلة معه، ودرس القسم الأول (مظاهر المباني الاستدلالية في القرآن الكريم) من خلال المنظومة الاستدلالية واستعرض حلقاتها وأوضح بنيتها النظرية والعملية، وشمولية تجسيدها، وأركان الاستدلال.

أما الخاتمة فقد أنبأت عن أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث، وقد استفرغت وسعي في الحصول على المصادر والمراجع ذات العلاقة.

الاستدلال في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني

الاستدلال في اللغة: الأصل في المصطلح (دَلَل) الثلاثي، ومنه الدليل[1]: ما يستدل به، والدليل الدالّ، وقد دلّه على الطريق، يدُلّه دَلالَةً ودِلالةً، ودَلُولةً، والفتح أعلى[2].

ولا يخفى معنى (دَلّهُ على الطريق) تعني الإرشاد والهداية إليه. ويبدو أن الاستعمال الأفصح والأكثر هو الفتح على أن الكسر و الضم صحيح الاستعمال ولكن أقل شهرة من الأول. والجمع له «أدِلّة، وإدِلاّء، والاسم الدَّلالة، والدِّلالة بالكسر والفتح. والدُّلَولَة والدَّليلي: قال سيبويه: والدَّليلي: علمه بالدلالة ورسوخه فيها، وفي حديث علي رضي الله عنه في صفة الصحابة رضي الله عنهم: (ويخرجون من عنده

(١) الدليل لغة: المرشد والموصل إلى المطلوب.= واصطلاحا: له معنيان احدهما أعم من الآخر مطلقا، فالأول الأعم هو: ما يمكن التوصل اليه بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري، وهو يشمل القطعي، والظني وهذا المعنى هو المعتبر عند الاكثر.
والثاني الأخص هو: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري، وهذا يختص بالقطعي المسمى بالبرهان. ظ/ الاستدلال عند الأصوليين/ ٢٠ وانظر مصادره.

(٢) لسان العرب/ مادة (دلل)، ظ كذلك: تاج العروس/ مادة (دلل) الصحاح/ مادة (دلل) وغيرها.

أدلة)، وهو جمع دليل أي: فيَدُلّون عليه الناس، يعني يخرجون من عنده فقهاء، فجعلهم أنفسهم أدلةً مبالغة، ودللت بهذا الطريق: عرّفته»[٣] ولا يخفى معنى المبالغة في الجمع والاستعمال فضلاً عن رسوخ المعرفة وإيصالها إلى طالبيها.

ويبيّن الراغب الأصفهاني معنى الدلالة وأقسامها بقوله «الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالةً أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة ألإنسان فيعلم أنه حيّ»[٤]، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا

(٣) لسان العرب/ مادة دلل.

(٤) مجمل قول الراغب هذا تعريف للدلالة وبيان لأقسامها، والدلالة لأتخرج عن المعنيين «الأول: كون أمر بحيث يفهم منه أمر آخر، و إن لم يفهم بالفعل، المراد بالأمر الأول: الدال، وبالثاني: المدلول.

والثاني: فهم أمر من أمر، أي فهمه منه بالفعل، فهو أخص مما قبله، والمراد بالأمر الأول: المدلول، وبالثاني: الدال، على عكس الأول. والدلالة إما لفظية أو غير لفظية، وكل منهما إما وضعية، أو عقلية، أو عادية.

فتكون الأقسام ستة وهي:

أ. الدلالة اللفظية الوضعية: مثل دلالة (الأسد) على الحيوان المفترس.

ب. الدلالة اللفظية العقلية: مثل دلالة (اللفظ) على وجود لافظه، أو حياته.

ت. الدلالة اللفظية العادية: مثل دلالة لفظ (أخ) بفتح الهمزة على الوجع مطلقاً، ولفظ((أح)) بالهمزة والحاء المهملة على وجع الصدر.

ث. الدلالة غير اللفظية الوضعية: مثل دلالة الإشارة بالرأس إلى الأسفل على معنى (نعم)، والى أعلى على معنى (لا).

ج. الدلالة غير اللفظية العقلية: مثل تغير العالم على حدوثه.

ح. الدلالة غير اللفظية العادية: مثل دلالة الحمرة على الخجل والحياء، والصفرة على الوجل والخوف.

والدلالة الوضعية اللفظية محل اهتمام الأصوليين في مباحث الدليل اللفظي وهي لاتخرج عن الأقسام الثلاثة:

أ. مطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له كدلالة الإنسان (على الحيوان مطلقاً).

ب. تضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن المعنى كدلالة (الإنسان) على حيوان فقط، أو على ناطق فقط.

ت. إلتزامية: وهي دلالة اللفظ على لازم معناه، أو دلالته على خارج معناه كدلالة (الإنسان)على كونه ضاحكا "الاستدلال عند الأصوليين/ ١٩.

دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سورة سبأ: ١٤]

ويحدد العلماء معاني متقاربة للدليل وهي الإرشاد والهداية يقول الكفوي: "الدليل: المرشد إلى المطلوب يذكر ويراد به الدال، ومنه (يادليل المتحيرين) أي: هاديهم إلى ما تزول به حيرتهم، و يُذكر ويراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول، منة سمي الدخان دليلاً على النار"[٥].

والاستدلال: طلب دلالة الدليل، كالاستغفار طلب المغفرة، والاستنصار طلب النصرة، ولاتخفى زيادة الحروف ((الألف، والسين، التاء)) في دلالتها على الطلب.

«وإذا كانت لفظة (الدلالة) في اللغة تعني: الإشارة، ولفظة (الدليل) تعني المرشد والوصول إلى المطلوب، فالاستدلال عبارة عن: طلب الارشاد والاهتداء إلى المطلوب»[٦].

(٥) الكليات/ ٢/ ٣٢٠، ظ كذلك/ التعريفات/ ٦١، أساس البلاغة/ ١/ ٢٩٥.

(٦) الاستدلال عند الأصوليين/ ٢١، وانظر مصادره.

الاستدلال في الاصطلاح:

استعمل مصطلح (الاستدلال) وتداولته بيئات معرفية متعددة[٧]، فقد عرّفه الاصوليون، والفلاسفة، والمناطقة والمتكلمون، وأهل الأدب والبلاغة، فضلاً عن اللغويين فهو "من المفاهيم العابرة للاختصاصات والعلوم وفروعها في مختلف المنظومات العلمية والثقافية، ولئن كان الاستدلال مفهوماً مشتركاً في المنظومة المعرفية القديمة في علوم المنطق والكلام وأصول الفقه والبلاغة، فهو أيضاً مشترك في علومنا الحديثة بين اللسانيات والدلاليات والتداوليات، وعلم النفس والذكاء الصناعي، والإعلاميات والعرفان... الخ"[٨] وليس

(٧) ظ/ الاستدلال في كتاب نهج البلاغة/ ٤-٦، الاستدلال عند الأصوليين/ ١٩-٣٥، ظ كذلك ما ألفه بعض الباحثين في الاستدلال منهم الأستاذ الدكتور محمود عبد الحليم منسي في كتابه (الإحصاء الاستدلالي في علم النفس)، والدكتور عبد المرضي حامد عزام في كتابه (أساسيات الاستدلال الإحصائي).

(٨) الاستدلال البلاغي/ شكري المبخوت/ ١٧.

من وكّد البحث الخوض في ذلك بقدر ما يريد أن يبيّن مفهوم هذا المصطلح وغاياته ومراميه وأهم البيئات التي أغنته بحثا وتنظيراً.

فالاستدلال في الاصطلاح بحدٍ يكاد يكون جامعاً مانعاً ولاسيما عند المناطقة هو "استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة، أو هو: التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الاحكام التصديقية المعلومة"[٩] أو هو "تقرير ثبوت الأثر لاثبات المؤثر"[١٠].

وأرى أن بيئة الأصوليين والمناطقة أوفر البيئات العلمية تناولاً للمصطلح وتطويراً لحدوده، وتطبيقاً لممارساته، ولاسيما عند أهل الأصول إذ يعتمد على آلياته في استنباط الحكم الشرعي من أصول النصوص الشرعية. من هنا تتجسد العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للاستدلال في أنهما دالان على معنى الهداية والإرشاد وتقرير الأثر وظهوره، ولعلك لا تغادر هذه المعاني مطلقا عند الاستعمال القرآني لمادة (دلل)، ومن لازم القول والبيان هنا إن الاستدلال عملية عقلية تجنح الى القياس والمفارقة بين القضايا مناط البحث الاستدلالي، للوصول إلى إثبات دلالة بدليل بديهي واضح لا يكاد ينفصل عن قضية بل هو الجزء الواضح المبيّن لها.

استعمال مشتقات (دلل) في القرآن الكريم:

جاء استعمال القرآن الكريم لمشتقات اللفظ (دلل) في سبعة مواضع[١١]. على صيغ مختلفة تبعاً لتناسب دلالة الالفاظ مع سياقات الآيات فيها، وهذه الألفاظ في دلالتها المركزية أو الهامشية تؤكد ذلك التلازم المعبر عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لها فالإرشاد والهداية واثبات المعنى وتقريره يكاد لا يغيب عن الغاية في استعمال اللفظ، والآيات هي:

١. (دلّهم) في قوله تبارك وتعالى ﴿ فَلَمَّا

(٩) ضوابط المعرفة واصول الاستدلال والمناظرة/ ١٤٩، ظ الاستدلال عند الاصوليين/ ٢٢.

(١٠) ظ/ الكليات/ ٢/ ٣٢٢.

(١١) ظ/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ مادة (دلل).

قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سورة سبأ: ١٤].

٢. (أدلّك) في طه، قال تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٢٠].

٣. (أدلّكم) في ثلاث مواضع هي: قوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [سورة القصص: ١٢]، وقوله جل ذكره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الصف: ١٠].

قال تعالى ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٠].

٤. (ندلكم) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة سبأ: ٧].

٥. (دليلاً) في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [سورة الفرقان: ٤٥].

ولا يغيب عن الفطن وضوح ارتباط المشاهد الحسية في استعمال لفظ (دلل) بكل صياغاته القرآنية فالأول الإرشاد والإعلام والهداية لصورة موت سليمان عليه السلام بعد قضائه، والثاني أشارة إبليس (لعنه الله) لآدم بشجرة الخلد، وهكذا بقية الصور الأخرى المرتبطة باللفظ (أدلكم، ندلكم، دليلاً) فضلا عن ذلك فقد استعملت الصيغة الفعلية للفظ ست مرات مقابل الاسمية مرة واحدة في الآية الأخير، و هذه الآيات خلت من الصيغة الدالة على طلب الدليل بلفظ (استدلال) أي اللفظ (دلل) المزيد بـ(الألف والسين والتاء) والموحية بالطلب إلا أن جميع الصيغ المستعملة في القرآن الكريم لم تخرج عن المعنى الذي قرره الكتاب المجيد لمعنى اللفظ وهو

الهداية والإرشاد والانتقال إلى جانب من جوانب البنية المعنوية للفظ القرآني.

العلاقات الدلالية للمصطلح:

يعقد الكتاب المجيد نظماً دلالياً بين مصطلحاته في دائرة الاستعمال القرآني، وينسج أواصر الترابط بينهما من خلال علاقة التداخل والتكامل مرةً، أو التقارب والترادف أحياناً، أومن خلال دلالة التضاد والتخالف مرة ثالثة، ولقد رصد الباحث علاقات لمصطلح (الاستدلال) مع غيره من المصطلحات التي يتقارب معها دلاليا ومنها (البرهان، السلطان، البيان) فهذه الألفاظ بحسب الاستعمال القرآني ولاسيما في الوجوه والنظائر القرآنية ترتبط بمصطلح (الاستدلال) إلى حدٍّ بعيد حتى غدت وجوه العلاقة فيما بينها أوضح من مواطن الافتراق. فالبرهان يأتي بمعنى «الدليل والحجة، قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١١١] وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [سورة النساء: ١٧٤] قال تعالى ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٧]، فالبرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يتضمن الصدق ابداً لا محالة"[١٢].

ومصطلح (الحجة) في القرآن الكريم يكاد يتقارب في الدلالة إلى حدّ الترادف مع الدليل فالحجة "ما دلّ على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"[١٣] وقرر ذلك التهانوي بقوله: "الحجة مرادف للدليل"[١٤]، في حين ألمح بعضهم إلى مواطن الفرق بين الاصطلاحين فجعل "الدليل مادل على صوابك، والحجة عنك قول فخالفك"[١٥] أما مصطلح (البيان أو السلطان) فتتداخل دلالتهما مع الدليل أو الاستدلال[١٦].

(١٢) بصائر ذوي التميز/ ٢/ ٤٣١.
(١٣) التعريفات/ ٥٠.
(١٤) كشاف اصطلاحات الفنون/ ١/ ٦٢٢، ظ المصباح المنير/ مادة (حجج) يقول: (الحجة الدليل والبرهان).
(١٥) البحر المحيط في أصول الفقه/ ١/ ٥، ظ/ الاستدلال البلاغي/ ١٨.
(١٦) ظ/ أرشاد القرآن والسنة الى طريق المناظرة/ ٣٥.

وقد توافرت الآيات الكريمة[١٧] في بيان ذلك.

ومن نافلة القول، إن التقارب الدلالي أو الترادف -على رأي القائلين به -بين هذه الألفاظ لا يعني انعدام الفوارق بينها مطلقاً، فقد تجد مكامن الدلالة الخاصة باللفظ لا تمكّن من الاعتقاد بتساوي اللفظين بالمعنى، وبهذا قد يجوز الاعتقاد- وفي هذا يقيني -، بأن الترادف في القران الكريم يستحيل مع دقة اختيار الألفاظ وتناسبها في الاستعمال القرآني، وترابطها في سياقاته المعجزة، من هنا فرّق أهل الدلالة بينها مرة وحاولوا إيجاد علاقة التقارب أو التداخل المعنوي الدلالي فيما بينها مرة ثانية[١٨].

وحسبي أنني أذهب إلى إمكانية عدم حصول إجماع تام بين الباحثين في تحديد دلالات كل المصطلحات التي يتداولونها، لان الحدود اللغوية تنتمي إلى أساليب فكرية متعددة، وتنمو وتزدهر بحسب ملابسات ومفارقات سياقيه مختلفة، فتتولد منها بنية معرفية دلالية خاصة فضلاً عن المعنى العام الذي يشكل مظهراً تتقارب فيه مع غيرها من الألفاظ، ولا يمكن معه اعتماد تحديد جانب من الدلالة من دون النظر إلى الآخر[١٩].

ومما تجدر الإشارة إليه أن النظر في معاني الألفاظ المتقاربة والمتداخلة مع (الدليل أو الاستدلال) يمكننا من لحاظ سمو وعلو الاستدلال القرآني فضلاً عن شموله على أعلى مراتب الوضوح، وأكمل درجات الخطاب للمستدل عليه، أو المخصوص بالاستدلال فكون الدليل (حجة أو برهانا أو سلطانا أو بياناً) يعني هو المقصد المستقيم، وهو الدليل الذي يشعرك بقوته وقدرته وعلو شأنه، وهو الذي يدلك على الوضوح والظهور والتجلي المؤثر[٢٠]، فهذه المعاني

(١٧) ظ/ المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم/ الألفاظ الآتية (الحجة، البرهان، السلطان، البيان).

(١٨) ظ على سبيل المثال: الفروق اللغوية/ ابو هلال العسكري/ ٦٣ -٦٨، الفروق/ ابن قيم الجوزية/ ١٠٩، بهجة الخاطر ونزهة الناظر/ ١٦٨، ١٩٤.

(١٩) ظ/ الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة: / ١١.

(٢٠) ظ/ مادة هذه الألفاظ (الحجة، البرهان، السلطان، البيان)في المصادر الآتية:

والدلالات إنما هي تشخيص لواقع الدليل والاستدلال القرآني الذي جاء في أسمى درجات الخطاب، وأظهر معالم البداهة والعقلنة في الحوار والحجاج؛ لذا ذهب ثلة من الباحثين الى استعمال (عَقَلَ أو تعقل) بمعنى (استدل أو دلل) أي طلب الدليل والقرينة والعلة، فكلا اللفظين (التعقل) و (الاستدلال) يتداخلان في الفعاليّتين اللتين يعبران عنهما ومع ذلك فلا مناص من القول إلا بوجود الحدود المميزة لهما[٢١]. اخلص من جميع ما تقدم إلى أن (الاستدلال) له من الخصوصية في الحراك الذهني العقلي ما يؤدي به إلى نتيجة تتعاضد مع دلالته اللغوية والاصطلاحية.

ويؤديان بتناسب عجيب "معنيين معنىً يعود به إلى النظر، ومعنى يعود به إلى المناظرة، ففي حالة النظر يعني الاستدلال (انتزاع الدلالة)، وفي حالة المناظرة يعني (المطالبة بالدلالة) والعمدة في الاستدلال لمعنييه هو الدلالة"[٢٢].

ولو راجعنا مفهوم النظر العقلي في القرآن الكريم وإجرائيات المناظرة فيه من جهة، والاستدلال من جهة ثانية لوجدنا ذلك التماثل في ضبط حركية التفاعل الدلالي للمصطلاحات القرآنية، ولأنبأنا عن واقع حال بنية استدلالية معجزة تظهر من سمات سياقاته ومعالم آياته الكريمة.

القسم الأول
مظاهر المباني الاستدلالية
في القرآن الكريم

ينهج الاسلوب القرآني طريقاً منظماً في بناء الفكر الاستدلالي ويجعل من قوام الفطرة الخالصة وحواسها النقية الصافية من جهة، والمدارك العقلية والبداهة الذهنية من جهة ثانية قاعدة تؤسس لمنظومة استدلالية معرفية شاملة متكاملة تسعى إلى صناعة الإنسان المفكر العقائدي الذي يلتزم سلوك القرآن فكراً وعملاً، وواقعاً وتطبيقاً، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ

التعريفات/ ٣١/ ٥٠/ ٦١، بصائر ذوي التميز/ ٢/ ٤٣١، بهجة الخاطر ونزهة الناظر/ ١٦٨.

(٢١) ظ/ الاستدلال مستويات في القوة والوثاقه/ ١١ -١٢.

(٢٢) الاستدلال في علم الكلام/ ١٥٥.

وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٧٨].

وبعبارة أخرى يؤصل لنا كتاب الله المجيد مسلكاً استدلالياً يقوم على أبعاد نظرية وعملية، فضلاً عن اعتماده حركية فطرة الإنسان وفاعليتها ودرجة نقائها في إدراك الاستدلال ووعيه عملياً، وانتقاله من مراحله النظرية إلى مرحلة العملية وواقعه التطبيقي، فمن جانب يحث القرآن الكريم على إعمال الفكر والتعقل والاستدلال بآيات مختلفة وفي مواقف شتى وموضوعات متعددة وحسبك النظر في الآيات الدالة على العقل أو التدبر أو النظر والتفكر[٢٣]، ومنها قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [سورة الروم: ١٩-٢٥].

فقد ضمنت الآيات الكريمة الحث على التعقل ومقتضياته من التدبر والتفكر والنظر بالاستدلال المستند إلى فطرة الإنسان من جهة وبداهة العقل من جهة ثانية.

وفي جميع الآيات نجد الاستدلال واضحاً جليا، ففي خطابه تعالى لأهل الكتاب احتجاج على تكذيب ادعائهم من

(٢٣) ظ/ المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم (مادة: عقل، دبر، فكر، نظر).

دون علم، واستدلاله في سورة الروم على القدرة على الخلق والإعادة وتبدأ الآيات في إجراء البراهين والأدلة الواضحة التي تتصل من جهة بالحس والإدراك العياني الواقعي التي يقرر فيها القرآن القدرة على الإحياء ثمّ البعث والنشور بقوله: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [سورة الروم: ١٩]، ثم تستعرض الآيات الكريمة البراهين الحسية والعقلية على البعث والحياة بعد الموت وتؤكد المعنى نفسه مرة أخرى زيادة في التقدير في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [سورة الروم: ٢٥].

ويسلك بنا القرآن الكريم نهجاً تربوياً قيماً في الحث على الاستدلال وإدراك كيفية إقامة الدليل والمطالبة به والبرهان عليه، وعدم الركون إلى العقيدة من دون الاستدلال عليها بالدليل القاطع اليقيني. ولهذا تكررت الدعوة القرآنية لاعتماد الدليل أكثر من مرة[٢٤].

وكان أول أركان المنظومة الاستدلالية وحلقاتها في كتاب الله تعالى الحث على النهج الاستدلالي والإتيان بالحجة والبرهان، وفي مقابل جادة الحث على الاستدلال يعرض لنا جانبا آخر من هذه المنظومة وهو المسلك العملي والممارسة الواقعية للاستدلال في صورتين أو مشهدين أستطيع أن أصف احدهما بالاستدلال الباطل اللامنطقي؛ لافتقاده أسس التفكير الصحيح وقيامه على المغالطة وجريانه على التقليد الأعمى، وإلغائه العقل واعتماده على العناد، وإصراره على العزة بالآثم والخطيئة.

وهو ما تؤكده وتقرره الآيات المجيدة في أكثر من موطن[٢٥]، ففي معرض دعوات القرآن الكفار للإيمان والتوحيد والتسليم لله تبارك شأنه ترسيخ للقدرة على الإحياء والإماتة من خلال الاستدلال

(٢٤) ظ/ [الآيات الآتية على سبيل المثال: البقرة/ ١١١، الأنبياء/ ٢٤، القصص/ ٧٥].

(٢٥) ظ/ على سبيل المثال الآيات الكريمة: [الإنعام/ ١٤٨، التوبة/ ٢٣، هود/ ١٠٩، الأعراف/ ٢٨، ٧٠، يونس/ ٧٨، الشعراء/ ٢٦، ٧٤، المؤمنون/ ٦٨، الفرقان/ ١٨، يوسف/ ٤٠، الصافات/ ١٢٦، الدخان/ ٨].

بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة التي تحاكي الفطرة والوجدان، وتلازم العقل والبرهان، وتتسم بالوضوح والبيان فلا شائبة تبعد عن اليقين، ولا ظن يعترض الدليل إلا أن الكافرين أمام ذلك تراهم يستدلون بالمقاطعة والعناد والعمى والظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤ -٢٦].

ويتكرر الموقف ثانياً وتأتي مغالطة الكافرين[٢٦]، واستدلالهم في نقض دعوات الإيمان بالله تبارك وتعالى، وتوحيده والإقرار بقدرته على عمى التقليد لآبائهم والتماسهم الهداية من الضالين والاقتداء بآثار المكذبين قال تعالى: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة الزخرف: ٢١ – ٢٥].

ولا يغيب عن ملاحظة الفطن إشارة السياق القرآني إلى تكرار قول الكافرين وإصرارهم على (الاهتداء والاقتداء) بنهج آبائهم على الرغم من بطلان استدلالهم وضعف حجتهم؛ لذا جاء الجواب القرآني بإيضاح زيف ادعائهم وكشف واقع كفرهم ومآل عاقبتهم.

ويصور القرآن العظيم هذه السمات الباطلة المنهي عنها في الاستدلال على لسان الكافرين طلباً في التنبيه على مخالفتها للعقل والبرهان ومعارضتها للفطرة والوجدان لأنها تتبع طريق العمى من دون هداية وتسير من دون علم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا

(٢٦) ظ/ بحوث في مبادئ الاستدلال/ ١٨٦.

يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠]﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة المائدة: ١٠٤ -١٠٥].

ولعل كثرة موارد إنكار القرآن الكريم تقرُّر بقاء الكفار في ضلالهم وعنادهم، والركون للتقليد الأعمى، ويدعو للتحذير منها ومن أمثالها، وتشخيصها سلوكاً منبوذاً بين العقلاء أو ممَّنْ يدَّعون التفكر أو النظر العقلي.

وقد مضى ذلك على لسان خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام في محاججته لقومه ومغالطتهم في الاستدلال وعنادهم السقيم مقابل استدلاله بالبرهان العقلي المشخص بالواقع الحسي الملموس العيني الذي لا يختلف فيه اثنان في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١ -٦٧].

ومن عظم خطر هذا المنهج الخاطئ والزائف في الاستدلال الباطل انه يؤدي بصاحبه إلى الضلال، والابتعاد عن طاعة الله بل والخروج من مقام العبودية إلى مقام التمرد والعصيان ومآله هذا الهلاك وعاقبته النار، وهو ما صوّره لنا كتاب الله تبارك شأنه في استدلال إبليس عندما أمره تعالى بالسجود لآدم، وهو في حقيقة الأمر سجود لله تبارك اسمه بدلالة طاعة الأوامر الإلهية، وعدم مخالفة ما يصدر منه جل شأنه، ولا سيما أن المأمور إبليس (لعنه الله) كان مع الملائكة ومن العُبّاد وفي ذلك إشارة إلى الإنذار والتحذير من التكبر والتفاخر والعصيان والعناد؛ لذا جاءت المشاهد القرآنية الكريمة وهي تصور بدقة ووضوح بطلان استدلال إبليس وحجته بعدم السجود إلى آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ

﴿أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١١ -١٣] فالتكبر كان صريحا منه وقد كان من الظهور والتجلي بأن أشار اليه تعالى في محكم كتابه، فضلاً عن ذلك فان الاستدلال بأفضلية عنصر على آخر، والقياس عليه في مدار التفضيل زائف وغير حقيقي فزعمه -ابليس- «كونه خيراً من آدم كذبة باطلة، واستدلاله عليها بكونه مخلوقاً من نار، و(آدم) من طين استدلال باطل، ليست النار خيراً من الطين والتراب، بل التراب خير وأفضل عنصراً من وجوه»[٢٧] كثيرة وإنما الهدف من ذلك يقع على قضية العصيان والمكابرة في الطاعة والتسليم للأمر المولوي وهو ما تؤكده آيات أخر منها قوله جل وعلا:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [سورة الحجر: ٢٨ -٣٤].

وتأكيد مشهد استدلال إبليس اكثر من مرة في القرآن الكريم، مع الإشارة بل التصريح بذمه، وزيفه يولد إيحاءً بأهمية الاعتماد في الاستدلال على الحق والصواب دون الباطل في التكبر والتعالي والحسد؛ فإنها موجبة للطرد من الرحمة الإلهية وهي العاقبة والمآل الذي خلص إليه إبليس من استدلاله الزائف[٢٨]، وقد نصت عليه وكررت مواقفه (أربع مرات)، وفي كل آية ترى الندم والطرد والتوبيخ ونقض حجته وقياسه، وأعجب ما في الأمر أن القرآن الكريم ينقل جرأة إبليس (لعنه الله) واصراره على العناد والتكبر في خطاب الله تبارك وتعالى، وميله للجدل المفروغ منه وتوعده مَنْ كرّمه الله تعالى بوقاحة تنبىء

(٢٧) ارشاد القران والسنة/ ١٠٥، وقد ذكر ابن القيم خمسة عشر وجهاً في أفضلية التراب على النار.

(٢٨) ظ/ كذلك [سور ص: ٧١ -٨٣].

عن كِبره بحضرة الذات المقدسة ومقابلة الخطاب بالخطاب، ولعل منشأ ذلك أو بعضه من سوء استدلاله وعظم بطلانه الذي أدى به إلى الإصرار عليه واستحباب العزة بالإثم والمعصية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٦١ – ٦٣].

هذه هي الصورة الأولى من الممارسة العملية للاستدلال التي ينقلها لنا القرآن الكريم محذراً منها؛ لقيامها على الباطل ومخالفتها المنطق، وجريانها على أسس العناد الأعمى والعصيان الذي لا تحمد عاقبته؛ لذا جاء الحديث عنها في القرآن لبيان ذمها وعدم صلاحها ومقارنتها بالصورة الثانية من الواقع العملي للاستدلال القرآني والذي يمكن إن نصفه بالاستدلال البرهاني –المنطقي المعتمد على الصدق والحق، والمؤسِّس لاتجاه فكري يقود إلى إحكام الصحة والصواب، والحجة والدليل في شتى شؤون الإنسان وشجونه في حركته ليستحيل هذا عنده منهجا متبعا وطريقاً يُسلَكُ، ولا سيما وهو منهج العقلانية والحكمة، ومَنْ هم أهلٌ لحمل الكلمة الإلهية للناس، إنه منهج الأنبياء الذين قص علينا كتاب الله تعالى خطابهم الاستدلالي مع أقوامهم فضلاً عن بيان أهدافه ومقوماته وتناسقه مع سياقات النص المجيد وخطابه المعجز؛ وعليه فالمتأمل اللبيب لا ينفك عن تجلي اللطائف والأسرار الإلهية من الاستدلال القرآني.

وكلما أنعمنا النظر أكثر فأكثر، رأينا العجز ظاهراً عن وصف ما نشعر به قبال فرائد الدلالات ونفائس المعاني، ولعلك تطلب مثال ذلك شاهداً على ما وصفته واليك قول الله تبارك شأنه على لسان خليله (صلوات الله عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨]، فقد جمعت هذه الآية المباركة صورتي الاستدلال المتقدمة (استدلال الحق، واستدلال الباطل)، فقبال حجة إبراهيم عليه السلام التوحيدية ونسبة القدرة على الإحياء والإماتة لله تعالى، تجد سفاهة ادعاء الكافر وعناده، وإصراره على الطغيان من خلال زعمه بامتلاك هذه القدرة التي لا يستطيع بها دفع الضر عن نفسه، أو جلب النفع لها ولكن ركونه إلى العزة بالإثم والغطرسة جعله يدعي ما لا يمت للحقيقة بصلة بل هو الباطل بعينه، إذ أراد من معنى الإحياء والإماتة وجها من وجوه الظلم والغطرسة، ولم يجرؤ على أن يدعي ما ليس له لأنه فاقد الأهلية على نفسه، فكيف بادعاء هذه القدرة عموماً على الآخرين؟!.

ولم يقف خليل الرحمن عليه السلام عند استدلال نمرود هذا بالتعقيب أو التعليق لسببين فيما أرى والله العالم:

الأول: بطلان هذا الاستدلال من أساسه؛ لأنه يفقد اقل درجات التعقل و المنطق؛ ولعله من ظهور انحطاطه، ووضوح سفاهة استدلاله تجاهلَهُ إبراهيم عليه السلام، وانطلق إلى استدلال آخر لا مندوحة من الإجابة عنه. ولا سبيل له في الرد عليه.

والثاني: اتخذ إبراهيم عليه السلام طريق الانتقال الجدلي مع خصمه والذي يقوم على انتقال المستدِل إلى استدلال آخر غير الذي كان آخذاً فيه[٢٩]، وتخطي استدلال خصمه وتجاوزه، وتجاهله ولو ظاهراً، ومن ثم إفحامه باستدلال آخر لا يحير له جواباً؛ لأنه حقيقة حيَّة ملموسة متفق على نسبتها وتصورها العياني والعقلاني عند عامة الناس والخلق.

من هنا اسقط في يدي نمرود وكنى عن حاله القرآن الكريم بقوله ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ فهذا الاستدلال اخرس منطقه، وأمات حجته فلا جواب سوى لسان الحال من إحقاق الحق بوجه الكفر والظلم، والعجيب حقاً والمعجز صدقاً

(٢٩) ظ/ الإتقان في علوم القرآن/ ١١/ ١٢٦٧.

إن هذه الآية التي جمعت بين مشهدين من الاستدلال جاءت في سياق فريد ونظم نادر فكأنما هي مصداق لما سبقها من جهة، وقاعدة تؤسس لقضية استدلالية لما بعدها، كيف ذلك وأنّى؟؟؟.

ولو راجعنا الآية السابقة لوجدناها تقرر معنىً من تولي الله تعالى الذين امنوا بالهداية والإخراج من الظلمات إلى النور مقابل الذين كفروا (الشيطان) يخرجهم من النور إلى الظلمات قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

ثم تأتي الآية التي استدل بها إبراهيم عليه السلام على نمرود مصداقاً حياً لهذه المقابلة بين مَنْ تولاهم الله تعالى بهدايته أمام مَنْ كان وليّهم الشيطان ولا يغيب عنك امتداح إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨]، أكثر من مرة، فمرةً يذكره باسمه، وأخرى بنسبة كلمة (رب) إليه مرتين، في (ربّه) وأخرى (ربي) وهذه إشارة واضحة الى الثناء عليه، وعلى سلوكه ومنهجه في الاستدلال الحق والله العالم.

وكما جعل السياق القرآني مقاما طيباً لخليل الله تعالى بما استحقه، وصفَ (نمرود) بالكفر والاستبعاد من الرحمة، فهو الجاحد بأنعم الله تعالى وعطاياه من خلال دلالة الكناية عنه وعن اسمه بلفظ (الذي) مع لحاظ السياق الذي قرر ونص على نعمه جلّ شأنه بقوله (أن أتاه الله الملك) فالملك كان منه تعالى، ولم يقابل هذا الموصوف بالكفر نعمة الملك إلا بالطغيان والتعنت، وسلوكه الاستدلالي الذي ينقله الكتاب المجيد ينبئ عن ظلمه وكفره وخروجه من ولاية الله تعالى إلى ولاية الشيطان، وعاقبة التولي ومآله في الاتجاهين ظاهرة بينة فكرياً وعملياً وهي ما يوضحه القرآن الكريم في آيات لاحقة

في مواضع قرآنية في غير سورة البقرة، وما يهمني ها هنا أن الإشارة الاستدلالية كانت موجهة نحو منهجين أحدهما: يقوم على الصدق والحق، والآخر: يقوم على التضليل والزيف، وحسبك في هذه المقارنة من توجيه قرآني نحو السلوك والتربية الاستدلالية نحو الحق والصدق والتحذير من دون ما سواهما.

وفي هذا المنهج الاستدلالي توكيد لنقض العقائد الباطلة، وبناء للعقيدة الحقة، وهو سلوك ابراهيم عليه السلام عينه في حجاج(نمرود) حيث نقض دعواه، وألزمه الحجة، وكذّبه في حجته حتى ظهر عجزه وخارت دلائله، ولم يجر على لسانه إلا الخرس والعي (فَبُهِتَ الذي كفر).

ولم تنتهِ صورة مشهدَي الاستدلال في هذه الآية [سورة البقرة: ٢٥٨] عند هذا الحَد بل جاءت تؤسس استمرار الموضوع المهم الذي غادره إبراهيم عليه السلام ولم يقف عنده وهو زعم (نمرود) وادعاؤه -كاذبا- القدرة على الإحياء والإماتة، وكان ذلك التغافل عن هذا المعنى من باب ما سميناه (التسليم الجدلي)، إلا أن السياقات القرآنية وإن نقلت قول (نمرود) لكنها وقفت عنده ونقضته ملياً، وبيَّنت مفاصله وجلَّتها استدلالياً في مواطن كثيرة في القرآن الكريم[٣٠]، ولا سيما في هذا الموطن حيث فخامة الموضوع، وظهور مدعٍ مضلل يزعم ما لا يستطيع فجاءت الآية اللاحقة بعد آية الحجاج مع إبراهيم لتحدثنا عن قدرته تبارك وتعالى على الإماتة والإحياء، قال عزّ من قائل: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩].

فهذا السياق حمل تناسباً استدلالياً

(٣٠) ظ: على سبيل المثال/ البرهان/ ٢، ١٨-١٩، الإتقان في علوم القرآن/ ١١/ ١٢٦١.

مع الموضوع نفسه لأنه من الأهمية بمكان بحيث لا يمكن إغفاله بمجرد إبطاله في زعم المضللين أو ادعاء الكافرين، فمسألة الإحياء والإماتة من ابلغ الحجج والبراهين على القدرة الإلهية وهي ما لا يحجّمها تزييف وجهته (نمرود أو غيره)؛ لأن مقامها ومنزلتها لا يقبل الشّركَة مطلقاً ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولذا جاءت قصة (عزير) لتؤكد حقيقة الموت والحياة والقدرة عليها منه تعالى ذكره، ولا يمكن لهذه الحقيقة أن توجه الآية بمظهر أهل الطغيان والغطرسة، ومن جميل التعبير وصدق الإيمان تجد في ختام الآية المباركة ذلك الإقرار والتسليم لله تعالى بعد ظهور الآية لمن بعثه بعد موته وعلى ما كان معه من طعامه وحماره، فقال مطمئناً موقناً، (اعلم أن الله على كل شيء قدير) بعد أن وعى الاستدلال عليها وأدركه ختم ذلك بالاعتراف والإقرار.

ولم يترك السياق الاستدلالي الأمر حول قضية الإحياء والموت عند هذا الحد وإنما جاءت الآية اللاحقة لتؤكد المعنى نفسه، والموضوع نفسه ولكن بإطار أخر أبلغ حجة وأوضح بياناً في إعمال الإيمان، وترسيخ الاعتقاد ويكون إبراهيم عليه السلام طرفاً في الخطاب وكلامه نهجاً للإيمان والاعتقاد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠]، فموضوع الآية والسؤال لا يتعلق بخليل الله تعالى وإيمانه؛ فإذا كنا نعتقد أن القرآن الكريم كما في روايات أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) نزل على قاعدة (إياك أعني واسمعي يا جاره) نفهم ونعي سؤال ابراهيم عليه السلام ودلالة سياق الآية من استعمال ألفاظ (ربّ) والإقرار بالإيمان بـ(بلى) فضلاً عن أن السؤال أراد معنى (كيف) والغرض من ذلك كله ترسيخ العقيدة فيمن يؤمن باللسان دون الجنان، أو بالجنان دون الاطمئنان واليقين فجاء على لسانه وأراد به المخاطبين ممن حالهم على هذا النحو (ولكن ليطمئن قلبه)، أو التدرج في مقام اليقين لبلوغ

أرقى درجاته، من هنا جاء الجواب الإلهي الاستدلالي بحجة لا تقبل أدنى درجات الشك، فما أعجبه من برهان جمع بين ثلاثة أشياء (أربعة من الطير) تنوع و(صرهن) أي قطعهن واخلطهن، ثم (اجعل على كل جبل منهن جزءاً) توزيعهن على رؤوس الجبال؟!، وتأتي المعجزة بالإحياء، وسعيهن إليك عند دعوتك من دون أن تختلط أجزاؤها أو يشتبه بعضها ببعض، وفي هذا الاستدلال إشارات ولطائف عظيمة يدركها مَنْ حسن ذوقه، وعَظُمَت الآيةُ في نفسه، ومنها أن صورة الإحياء هذه التي جرت بعد تعدد الأنواع، واختلاط الأجزاء، واختلاف الأماكن آية مصغرة لمشهد الإحياء العامة يوم القيامة من تعدد الأجناس، وتناثر الأجزاء واختلاطها وتشابهها واختلاف زمانها ومكانها فلا يبقى منها شيءٌ يُرى أو يُحس ثم ما لها إلا القيام والبعث والنشور من جديد لا يختلط بعضها ببعض، ولا يشتبه شيء منها بغيره، ولا بعمله، و كل ذلك وغيره إنما هو مصداق للقدرة الإلهية العظيمة في الإحياء والإماتة.

ولا شك في أن المتأمل في الآيات الماضية (٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠) وقبلها الآية (٢٥٧) من سورة البقرة يرى انها جاءت متساوية متناسبة استدلالياً ووكدت معنى القدرة الإلهية في الموت والحياة بحقيقتيها الناصعة التي لا يحجب إشراقها مزيِّف أو يغادرها مجادل، من هنا ترى تأكيد القرآن الكريم صورة الاستدلال الحق الصادق الذي يجعل البرهان طريقا الى الاعتقاد والإيمان.

أخلص إلى أن الحلقة الثانية من المنظومة الاستدلالية في القرآن الكريم تتمثل بالممارسة التطبيقية للاستدلال من خلال صورتين أو مشهدين حذرت من احدهما، وامتدحت الآخر فكراً وسلوكاً؛ لأنه يوصل إلى الحقيقة ويؤدي بالإنسان إلى طلب الكمال وهي فطرته التي فُطر عليها.

أما الحلقة الثالثة من هذه المنظومة القرآنية في الاستدلال والحلقة الأخيرة منه فهي شمولية تجسيد الاستدلال بأقسامه وأنواعه وأساليبه وموضوعاته فضلاً عن بنيته الفكرية في آيات الذكر

الحكيم والتي تضمنت "جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق إحكام المتكلمين"[٣١].

ويمكن للباحث أن يستخلص أبعاد هذا الجانب من المنظومة في دلالات وإشارات يجوز أن نسميها البنية الاستدلالية الفكرية المؤصلة لقواعده وأسسه.

واعني بالبنية الاستدلالية الفكرية التي اقام القرآن الكريم على أساسها منظومته، واصَّل من خلالها لقواعده وأساليبه وطرقه في توليد وصناعة الاستدلال بما ينسجم مع فطرة الإنسان ووجدانه من جهة، والبراهين العقلية البديهية من جهة ثانية فيؤدي بالنتيجة إلى قناعة عقلية برهانية، ومتعة نفسية وجدانية في آن واحد[٣٢].

فقد وجه الكتاب المجيد الأنظار إلى أن فاعلية الاستدلال وحركيته في الإنسان تقوم على تكامل الفطرة الإنسانية وتناسبها مع البرهان العقلي، ولعل الاعتماد على الفطرة يأتي بالدرجة الأساس سابقاً الأدلة العقلية؛ لأنه جل ذكره أودع في «قلوب بني آدم المعارف الفطرية الضرورية ما يفرقون به بين الحق والباطل، وما يجعلها مستعدة لأدراك الحقائق ومعرفتها ولولا ما في القلوب من هذا الاستعداد والتمكّن، لما أفاد النظر ولا الاستدلال ولا البرهان»[٣٣].

فالبنية الفكرية للاستدلال لا يمكن تصورها من دون الفطرة والوجدان اعتماداً على العقل والبرهان فحسب، وإنما تتكامل القضايا التي توجب فيها البرهان مع الفطرة لإيجاد اكبر مساحة من التأثير

(٣١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي/ ٢/ ١٧، الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي/ ١١/ ١٢٦١.

(٣٢) ظ/ الاستدلال في القرآن/ محمد هادي معرفة/ ٩٥ مجلة رسالة القرآن/ العدد ١/ ١٤١١هـ، كذلك ظ/ الاستدلال القرآني/ منهجه ومميزاته/ د. سامي عفيفي/ ص٢.

(٣٣) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة/ عثمان بن علي بن حسن/ ١/ ٢٠٧.

والفاعلية للاستدلال، ومن هنا تختلف الاستدلالات من جهة القوة والوثاقة[٣٤]، وقد تكون بعض القضايا تحتاج إلى دليل، وأخرى نعرف صدقها من دون الحاجة إلى الاستدلال[٣٥]؛ أما لأنها من أوضح الواضحات؛ أو لأنها تعرف من جهة الفطرة ولعل من يطلب الاستدلال على القضايا الفطرية التي هي بحكم البديهية لا بد أن يقع بالدور القبلي المنطقي[٣٦].

وإذا اعتقدنا بأن الاستدلال عملية عقلية تهدف إلى الإثبات من جهة علاقتها بقضايا أخرى؛ فإننا بالضرورة نعتقد أن للعقل وظيفة عملية فضلاً عن وظيفته النظرية، واعني بالعملية مسألة قيادة عملنا، مثلما هو توسيع معارفنا وتعميقها، فإذا كان سلوكنا غير مترو احيانا، ولا يصل إلى النتيجة الصواب فقد يكون نتيجة استدلالنا[٣٧].

(٣٤) ظ/ الاستدلال في القوة والوثاقة/ ٢٧.
(٣٥) ظ/ الاستدلال/ روبير بلانشي/ ترجمة ا. د. محمود اليعقوبي/ ٦١.
(٣٦) ظ/ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد/ ٢٠٨.
(٣٧) ظ/ الاستدلال/ روبير بلانشي/ ٢٦٩.

وعلى أية حال يمكن أن نعّبر عن الاستدلال من جهة صنعته العقلية أو الذهنية بأنه «سلسلة متصلة من الحلقات، تندمج في طياتها عمليات متعبة من الاستنباط والمقارنة، وضرب المثال والبحث عن المثال المضاد، قصد إبطال فرضية ما وتدعيم منافستها، إذ النشاط العقلي منغرس في الانشغالات المتشعبة، وليس من السهل إقامة حواجز فيما بينها، وكل فكرة مشروطة بحيثيات؛ ولهذا كانت كل فكرة متولدة عن فكرة سابقة وتتوجه إلى اقتراح تفسير جديد نسبياً، حيث يقارن العقل وينتقد، ويقيد، ويستبعد بناء على معطيات معينة، ويتقبل بناءً على أخرى في سيرورة من الأخذ والرد لا تتوقف، وفي كل عملياتنا يشتغل العقل من خلال إسقاط المعارف والأمثلة من مجال على مجال أخر بعيد أو قريب»[٣٨]، وهذه الصورة الذهنية على الاستدلال لا تفترق عن الفطرة، وانما تعكس تكاملها وترابطها في محصلتها الاستدلالية المطردة

(٣٨) ظ/ الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة/ ٢١..

وهو أمر ما فتىء القرآن الكريم يشير إليها، ويؤكدها ويستثمرها في خطابه الإنساني المنهج[٣٩]، وإبداعه صورة واضحة مبنية على انه سلوك الهي تمثَّلَهُ الأنبياء والرسل، وعليه قامت أصول الحوار والمناظرة والجدل مع أقوامهم؛ فضلاً عن ذلك فإن الكثير من آيات الذكر العظيم التي عقبت على الاستدلال الوجداني العقلي البرهاني أو الفطري الوجداني بفواصل قرآنية توضح صلته بالتعقل والعلم والتفكر والتدبر[٤٠]، وجميعها في دائرة آليات الاستدلال، وهي لب العملية الذهنية التي ينتزع من خلالها الدليل، وقطب الرحى في الوصول إلى الحكم اليقيني الذي لا يدفعه شك ولا يقاربه ظن، وعماده الحق والصدق؛ لأنه معضَّد بالفطرة والوجدان ومصاغ بالعقل والجنان. وهو ما يؤدي بنا إلى تلمس عوامل توليد البنية الاستدلالية.

قوام البنية الاستدلالية: من خلال ما مضى يمكنني الاعتقاد بأن قوام البنية الاستدلالية القرآنية يرسخ تجانس المضامين النظرية والعملية للاستدلال فكراً، ويوحّد غايتها في إيضاح المقاصد والأهداف الاستدلالية، واحسب ان ذلك يُشيَّد من خلال ما يأتي:-

أولاً: تقرير القضايا العقلية البديهية التي لا يمكن الاجتماع على خلافها أو الاتفاق على نقضها، وهو بذلك يؤصل تطبيع سلوك الإنسان المفكر ويمنطق آلياته الموصلة إلى الأحكام النهائية قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورةالأنبياء: ٢٢]، فالآية على إيجازها تقرر حكماً لا يمكن أن ينكره مفكّر، أو متعقل فالفساد يقوم على اختلاف الإرادات المتعددة المتناقضة، وما دام الأمر محكماً عظيماً في التدبير والخلق والإدارة؛ فيستحيل وجود غير الله -تعالى شأنه- خالقاً ومدبراً، ودلالة التمانع واضحة المعالم في الآية[٤١]، ولا يمكن مخالفة العقل

(٣٩) ظ/ الجدل والمناظرة في القرآن الكريم/ عثمان بن علي بن حسن/ ٣٨٤.

(٤٠) ظ/ على سبيل المثال قول الله تبارك شأنه: [النحل: ١٢، الروم: ٢٤، غافر: ٥٧، آل عمران: ٦٦، الرعد: ٣، النحل: ١٠-١١، المؤمنون: ٦٨، ص: ٢٩].

(٤١) ظ/ الاستدلال البلاغي/ ١٨٨.

والبداهة في استكناه معنىً أو دلالة تغادر موطن التوحيد لله تعالى وتنزيهه عن كل ما يعدُّ تلويحاً أو أشارة بالشرك أو شيء من معالمه قال: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١](٤٢).

ثانياً: اعتماد القرآن الكريم الاستدلال منهجا في ترسيخ القضايا العقدية والمطالبة بالبرهان أو الدليل أو السلطان كما أسمته في الكثير من الآيات التي يُتطلّب فيها الوصول لحكم يُستنبط، أوالدعوة إلى إثبات بعض المطالب التي يزعم مدعيها- باطلاً- أنها على جادة من الصحة والصواب، ولاسيما ان العقل والمنطق فيها مخالف فهي تصدر عن العناد، وتسلك التضليل وليس لها من دليل في إثباتها، فتبنى من غير قواعد، وترفع من دون أسس في العلم أو الاعتقاد، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة النمل: ٦٤].

ومن لطائف تلازم التقرير العقلي البرهاني للاستدلال مع نهج ومبدأ المطالبة بالدليل والبرهان أن آيات الذكر الحكيم تجمع فيما بينها في سياق واحد، فمن جهة ترى القرآن الكريم يقرر المبدأ البديهي، ومن أخرى يدعو لاعتماد الدليل والبرهان ويقدمه واضحاً بيّناً لا شائبة حوله بفرادة أساليبه، وندرة صياغاته، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢ -٢٥]، فتنزيه الله تعالى عن الشرك والمطالبة بالبرهان تقع على من يعتقدون إلوهيته، وبيان أن توحيد الله تعالى هي أساس الرسالات السابقة ولم يكن الإسلام بدعاً منها وتعبير (من قبلك من رسولٍ) دال على جميع جنس الرسل

(٤٢) ظ/ كذلك على سبيل المثال الآيات الآتية: الزخرف/ ٨١، غافر/ ٥٦ -٥٧.

في الاقرار له تعالى بالإلوهية والعبادة ولا سبيل بغير ذلك من الاعتقاد إلا الباطل.

ثالثاً: تأكيد الكتاب المجيد قضية إنزاله وصلته بالسماء أو بما له من خصوصية في نسبته الإلهية، وأدائه المحمدي أو تحديه الإعجازي كلّ ذلك لم يكن بمعزل عن الاستدلال والبرهان بل جاء كذلك في سياق استدلالي يجمع بين الخطاب العام (للناس) على اختلافهم، والبرهنة بالآيات الحسية المُشاهَدة والعقلية المستنبطة تقرير ربوبيته على خلقه، فهو ربكم الذي جعلتم من دونه أنداداً بدلاً عن عبادتكم اياه، وأن ارتيابكم من كتابه، وعبده المؤتمن على القرآن العظيم إنما هو في سياق الاستدلال والاحتجاج، فتحداهم على مقابلة البرهان بالبرهان، وأن يأتوا بمثله، ولكن هيهات هيهات فقد ظهر العجز بدلالة التسليم بمقام الاستدلالات على ذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١ -٢٤].

فالقرآن الكريم من دلائل النبوة، وهو كتاب الرسالة من السماء قامت الحجة به ومن خلاله، ومن أراد معارضته انتصارا لما يزعم ويدعي فالتحدي قائم، وفي هذا السبيل يتجلى الحق عن الباطل، ويتبيّن الصادق من المكذّب، وكلُّ هذا في باب الاستدلال المستند إلى العقل والوجدان، وليس سوى ذلك طريق ومنهج لإثبات الكتاب والمرسل وصلتهما بالسماء من عدمها على مَنْ أحتج القرآن عليهم بمسائل كثيرة ومختلفة بدءا من التوحيد إلى البعث والنشور ثم الحساب والجزاء.

أخلص إلى أن النقاط التي ذكرتها آنفا من أهم عوامل توليد البنية الاستدلالية في القرآن الكريم وقوامها ومن خلالها نستطيع أن نتبيَّن أركان الاستدلال وأسسه التي يبنى عليها.

أركان الاستدلال[٤٣]:

يبدو للباحث إمكانية تحديد أركان الاستدلال من خلال تحليل العملية الاستدلالية نظرياً فحسب، إذ لا يمكن واقعاً فصل أو تفكيك أركانه؛ لأنه يمثل فكرة مترابطة الأجزاء تراكب المحصلات الدلالية حتى تصل بك حركية الاستدلال إلى النتيجة النهائية التي تربط المقدمات بالنتائج، إنها عملية فكرية وقدرة عقلية فاعلة ومؤثرة في الإثبات والإقناع[٤٤].

ومهما يكن من أمر فإن أركان الاستدلال وفقاً لفهمه قرآنياً، ينقسم على خمسة أركان وهي:

الركن الأول: المُستدِل:

واعني به صاحب الاستدلال وهو بالمبدأ العام القرآن الكريم، وهو كلام رب العزة والعظمة أو مَنْ ينقل على لسانهم حكاية من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، أو أقوام الأنبياء في حجاجهم وجدالهم الأنبياء والمرسلين، ولعل الباحث لا يفارق الصواب حينما يرى أن التمييز بين المستدلين أو الفاعلين للاستدلال يمكن أن يكون في جانبين بلحاظ غاية المستدل ومقاصده، فإذا كانت الغاية الحق والصدق وتأصيله بالعلم والتعقل والتفكر كان ذلك المستدل المحق المنصف وهذا الجانب الأول، والمقابل له -الجانب الثاني- المُستدلُ الذي غايته الكفر والعناد، والإصرار على الذنب فهو المضلّ الذي لا يستند إلا على الظن، ولا يرجو سوى سوء المنقلب على زيف مراده ومقاصده، والشواهد القرآنية أوضح من أن تحصر في غالب الكتاب العزيز.

الركن الثاني: المستدَل عليه:

وقصدي من ذلك موضوع الاستدلال، أو الموضوع الذي يراد إثباته، وإذا نظرنا إلى موضوعات القرآن الكريم التي أراد الاستدلال لها أو عليها لرأيناها كثيرة

(٤٣) لا اقصد بأركان الاستدلال في ضوء كونه صناعة منطقية، وان قاربتُ هذا المعنى في بعض ما ذهبتُ إليه من رأي في بنيته الفكرية، فليست الأركان الاستدلالية تعني ما ذهب إليه أرسطو من قيامه على البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة، وانما أردنا من ذلك حركية استنباط المعنى والاحتجاج له أو عليه بعمق يرصد فيه ابعاد الفكرة من جهة تعلقها الحجاجي.

(٤٤) ظ/ الاستدلال/ روبيربلانشي/ ٤١.

ومتعددة، ويتصدرها قضية إثبات وجود الله تبارك وتعالى وربوبيته والدعوة الحقة إلى عبادته وتنزيهه عمّا لا يليق به، وليس ثمة مبالغة في قول الأستاذ العقاد «لم تتكرر البراهين على إثبات وجود الله تعالى في كتب الأديان السماوية كما تكررت في القرآن الكريم»[٤٥].

ولعلنا ندرك حقيقة ذلك عندما نرى مئات الآيات القرآنية كانت مدار الاستدلال على الربوبية والقدرة الإلهية على الإحياء والإماتة، ومجادلة الكفار والمشركين من أقوام الأنبياء والمرسلين[٤٦]، بأوضح البراهين وأبلغ الحجج، وأقوى الدلائل، في سياقات متلاحقة ومواطن متلازمة فلا «تنتهي من استدلال الا ليقوم أخر بحسن تواصل وجمال تلاؤم وتعاقب، فيأخذ كل سياق حقه ومراده من البراهين بحسب موضوعه، وتفرد عرضه، وبلاغة حكايته قرآنياً من هدم العقائد الضالة في الفكر ونقض الشرك وتحطيم عروش الظالمين والطغاة، وترسيخ العقائد الإلهية، وبناء الأمم على نهج الرسالات السماوية في التوحيد والعقائد الصحيحة[٤٧] الفاعلة في حياة الناس والمجتمعات.

الركن الثالث: المخصوص بالاستدلال:

ويراد به الجانب الموجّه إليه الاستدلال وكانت اغلب خطابات القرآن الاستدلالية توجه إلى الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين فضلاً عن غيرهم مع تأكيدنا بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأن ما جرى من خطابات إنما هي في دلالتها العامة حجة على جميع المسلمين بل على من له نهج في التعقل والتفكر، ومن عظيم لطائف القرآن وإرشاداته السلوكية التربوية انه يحاول اجتذاب المخصوص بالاستدلال إلى مبدأ الصواب بأن يجعل من نفسه طالباً للحق وهو ومقابله على جادة واحدة في وجوب البحث عن الحق والهدى، قصداً لهما، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ قُلِ ٱللَّهُ

(٤٥) كتاب الله/ ص٢٢٥.

(٤٦) ظ/ منهج الجدل والمناظرة/ ١/ ٤١٤، ظ كذلك منهج القرآن الكريم في اقامة الدليل والحجة/ ١١٥.

(٤٧) ظ/ الاستدلال القرآني في منهجه ومميزاته/ ؟؟؟.

وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة سبأ: ٢٤].

فهذا الأسلوب القرآني في التنزل إلى مقام المخصوص بالاستدلال يوحي بأن غايته إنما التوجيه والهداية إلى الحق والإيمان بما يقتضيه التعقل ويستلزم الإيمان، فليس من وكد الاستدلال القرآني إفحام الخصم وإلزامه لمجرد الغلبة والتنازع، وإن كان ذلك الإفحام والإلزام بالبراهين محصلاً في النتيجة ممَّن جحد الحق، واتخذ العناد منهجاً، والإصرار على الضلال سلوكاً بتركه التفكر والتعقل، وما فطرت عليه النفس[٤٨].

ومن روائع الأسلوب القرآني في الاستدلال انه يقابل الجانب الأخر (المخصوص بالاستدلال) بالحجج والبراهين الواحد تلو الأخر مقابل العناد والخصام، وهو في كل هذا وذاك يعضّد الحجة بالحجة، والدليل بالآخر؛ لتكن الحجة على مَنْ كفر وضلّ أوضح وأبلغ، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، والدعوة إلى الجدال أو الاستدلال بالتي هي أحسن عُضِّدت كذلك بالتحذير من الذين يصدرون عن الضلالة والعزة بالإثم.

ويمكن القول إن المخاطبين بالاستدلال شكلوا ظاهرة قرآنية بأن نقل الكتاب العزيز براهينهم وحججهم الزائفة التي لا تنهض بأن تكون استدلال حق أو صواب، وحكى موقف أنبيائهم ورسلهم منهم في الاستدلال على نقض عقائدهم، وإعلاء العقائد الإلهية وبنائها، وقص من جانب آخر كيف أنكر هؤلاء ما جاءت به الرسالات السماوية من دون دليل أو برهان فضلاً عن ذكر مآلهم وعاقبتهم[٤٩].

الركن الرابع: برهان الاستدلال:

والمراد منه الدليل أو الحجة التي يأتي بها المستدلُّ حال إثبات صدق قضية أو نقضها، وقد حكى القرآن العظيم استدلالاته وبراهينه وأدلته المختلفة

(٤٨) ظ/ منهج الجدل والمناظرة/ ٣٩٤.

(٤٩) ظ/ منهج الجدل والمناظرة/ ٥١٥ وما بعدها.

المتنوعة بحسب القضايا التي ساقها في مقامات شتى وصور كثيرة، ونقل من جهة ثانية أدلة الجانب الآخر من الكافرين والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وعقد في أحيان عديدة مقابلة بين برهانه القائم على العقل والفطرة الإنسانية، وبرهان الجانب الآخر الذي يفتقد المنطق والعقلانية ولا يركن إلا للظن، ويعتمد المغالطة طريقاً ومنهجاً في الاستدلال فتقوده إلى الضلال والعناد فانقسم بذلك الاستدلال أو البرهان على نحوين، برهان إثبات وبناء، وبرهان نفي ونقض[٥٠].

لقد واجه القرآن الكريم الأدلة الزائفة ببراهينه القوية الواضحة، فمسألة البعث بعد الموت مثلاً من أهم القضايا التي واجهها البرهان القرآني بما لها من تفصيلات عديدة، فأكدها وأثبت حقيقتها التي أنكرها الآخرون باطلاً وابتعاداً عن الفطرة من خلال الاستدلال بوجوه كثيرة منها قياس البعث والإحياء من خلال الأمثلة كما في قصة موسى مع قومه وما جرى من ذبح البقرة، أو قصة عزير، أو قصة أصحاب الكهف، ومنها الاستدلال على البعث من طريق خلق السموات والأرض، أو إحياء الأرض الميتة وإخراج النبات، وغيرها كثير.

وكذا الأمر عندما تصدى الكتاب المجيد لأدلة المشركين والكافرين في إنكار الإلوهية والربوبية لله تبارك وتعالى، ونقض دعواهم وأدلتهم في نسبة الولد إلى الخالق تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإبطال مزاعمهم في الاعتراض على شخص الرسول الأكرم ﷺ، أو إنكار نسبة القرآن إلى الله تبارك شأنه، أو ردّ دعوى أهل الكتاب لإلهية عيسى عليه السلام، أو نسبة صفات النقص لله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، أو نسبة أهل الكتاب أنفسهم لله تعالى، أو قولهم زعماً باطلاً في انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام وذريته، و قولهم على مريم عليها السلام بهتاناً عظيما، وغير ذلك.

لقد عارض القرآن الكريم بالدليل الواضح والقوي ومنهج تسوده الدعوة للهداية والرشاد، واعتماد الحقيقة ونبذ العناد، كل ما جاء ضالاً، ورسّخ كلَّ ما

(٥٠) ظ/ منهج القرآن الكريم في اقامة الدليل والحجة/ ٢٢٢.

من شأنه الهداية، فبرهانه وحجته أفلج، ومنهجه أحمد وأرشد.

وفي الجانب المقابل -استدلال أهل الكفر والعناد -تلحظ انكسار الدليل وابتعاده عن مرامي القضية، وانقطاع صلته بالموضوع، وانعدام علاقته بروح البرهان الصحيح ولعل في استدلال نوح عليه السلام مع قومه أوضح المشاهد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [سورة هود: ٢٥-٢٧] فالدعوة الى التوحيد وعبادة الله تعالى هي دعوة سائر الأنبياء وقد استدل نوح عليه السلام على صحة وعقلانية برهانه وتلازمه مع فطرة النفس البشرية قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [سورة نوح: ٥ -٢٠].

ولا يغيب عن لحاظك ان تكرار الدعوة يقابلها الاصرار على العناد استكباراً وتعالياً، وتكرار الدعوة وتواصلها ليلاً ونهاراً قد وصل الى نقطة افتراق، ولا سيما بعد استفراغ الوسع الرسالي فيها وفي أساليبها المتعددة واستدلاله العجيب الذي ينتقل بالدليل والبرهان مما هو ذاتي متعلق بالإنسان كالاستغفار، وبين ما هو سماوي متعلق بإرسال الغيث النافع، وما هو من نعم الله تعالى على الأرض من معائش وأرزاق وتكاثر، ثم ينتقل الاستدلال بنا إلى تقرير

حال قومه وعدم رعايتهم مقام الإلوهية على عظم النعم التي قدمها نوح(عليه السلام)، التي يجدد التذكير بها مرة أخرى، فيرتفع بالبرهان من أنفسهم وخلقهم وتنشئتهم مراحلَ وأطواراً، إلى السماوات وما فيها من طباق، وأقمار وكواكب مع لازم صفاتها التي يدركونها ويحسونها، ثم يأخذ بهم الخطاب الاستدلالي إلى النظر في كيفية إخراجهم وتكوينهم من الأرض والعود إليها والبعث منها مرة أخرى، وكل هذه الدلائل الناصعة التي تنقلنا من حجة بينة إلى أخرى أوضح وأبين، ومن معنىً عقلي إلى دليل ومثال حسي مدرك مؤثر فاعل في حياة الإنسان وحركته، والأعجب الأغرب إن الجانب الأخر -وهم قوم نوح(عليه السلام) -قابلوا هذه البراهين والحجج بأخرى غير ناهضة للاستدلال على كفرهم وشركهم وهي لا تخرج عن نظرهم في (بشرية نوح، وصفة أتباعه بحسب زعمهم، وليس لهم من فضل سابق: وخلاصة ذلك اتهام نوح(عليه السلام) وأتباعه بالكذب) وكل هذه لا تمت الى أصل الموضوع المستدل عليه بصلة مباشرة[51]، ولا سيما ان دلائل نوح(عليه السلام) وبراهينه كانت ابلغ في الاحتجاج والاستدلال على دعوته من حججهم في بقائهم على الشرك والكفر، وقد نقل القرآن الكريم عنهم مكرهم وإصرارهم على الكفر والشرك وتولي عباده الأصنام والأوثان قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [سورة نوح: ٢٢ -٢٣].

أخلص من ذلك إلى أن ثمة مفارقة بين استدلال نوح(عليه السلام)، واستدلال قومه فلم تواجه حجة نوح ودعوته للتوحيد وبراهينه العقلية البديهية والإنسانية والفطرية إلا بالتحول عن الموضوع إلى إشكاليات أخرى لاترتبط مباشرة بالاستدلال على صحة تبنيهم الكفر والشرك، بل تراها احتيالاً وهروباً من أصل الموضوع إلى هامشه، ولا سيما مع توافر المقاصد الباطلة لقوم نوح(عليه السلام) وهي تقود مركب العناد وشراعه التعالي

(٥١) ظ/ دراسات في التفسير الموضوعي/ ١٧٩.

والاستكبار وغايته المكر والخداع.

ولا أحسب برهاناً استوعب أبعاد الإنسان في ذاته وعلاقاته بمحيطه الذاتي والبشري وغيره من جهة، وبيئته الكونية الأرضية والسماوية من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة تواصله مع الشواهد الحسية والعقلية التي هي جزء من مسالك الحياة اليومية للإنسان مثل البرهان القرآني، فالآيات الإلهية تحيط بنا أنى توجهنا فسبحان الله الذي جعلنا آية شاهدةً ومشهودة قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النحل: ٢ – ٤].

ويبدو ان أدراكنا لقيمة أثر البرهان القرآني وفاعليته وخطابه الاستدلالي يجعلنا نتفاعل كثيراً معه عندما نرى ذلك مصاغاً بصورة مثل أو مشهد مصور يؤكد القدرة الإلهية من جانب، وخواء وتصاغر أدلة المعارضين له من جانب آخر، ولك في تأمل آيات من سورة الحج خير دليل فبعد أن يقرر القرآن حقيقة ضلالة وظلم عبادة غير الله تعالى، ومصير الكافرين ينبه ويحذر بمثال عجيب في مقارنة تحمل مفارقة في الحس كما في المعنى، في القدرة كما في الضعف بين الانسان ومخلوق آخر مُتناهٍ في الضعف مقابل الإنسان وهو الذباب[٥٢] قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [سورة الحج: ٧٣].

وإذا أنعمت النظر في آيات السورة من بدئها لتوصلت إلى أن من أهم مزايا «احتجاجات القرآن أنه حينما يحاول إخضاع العقل ببراهينة المتينة، تراه لا يتغافل عن امتاع النفس بلطائف كلامه الظريفة، ورقائق بيناته العذبة السائغة جامعا بين أناقة التعبير وفخامة المحتوى»[٥٣] ومن

(٥٢) ظ/ منهج القرآن الكريم في اقامة الدليل والحجة/ ١٤.

(٥٣) الاستدلال في القرآن/ محمد هادي معرفة/ ٩٥.

نافلة القول الاشارة إلى أن بعض الباحثين يجعلون الأدلة القرآنية على نوعين:

الأول: الأدلة البرهانية التي تتم عن طريق تقرير القضايا بالبرهان العقلي.

والثاني: الأدلة التكليفية وتكون دلالتها على الاحكام التكليفية. ومجال العقل في هذه الآية فهمها واستنباط ما فيها من أحكام شرعية ولا ريب في أن الكتاب العظيم قد كَامَل وجمع بين الأدلة في بعديها البرهاني والتكليفي[٥٤].

الركن الخامس: الاستدلال:

ونريد به ههنا المحصلة النهائية للجمع بين سلسلة من القضايا والانتقال من حكم إلى أخر حتى الوصول إلى نتيجة مبرهنة عقلاً ووجداناً، وللاستدلال عدة تقسيمات بلحاظ البيئات العلمية التي وظفته في استنباط معارفها.

ولعل بعض الباحثين حاولوا أن يقيدوا الاستدلال بتقسيمات المناطقة وتفريعاتهم، غرضُهُم المقاربة إلى حد بعيد بين مفاهيم المناطقة للاستدلال في عناوينهم المنطقية والشواهد القرآنية، ولربما بدا ذلك مسوّغاً أو مفضلاً، إلا أنني أجد ذلك يقيّد الخطاب الاستدلالي القرآني من جهة، ويغفل عن بُعده الوجداني الذوقي، ويهمش معانيه التفسيرية المتساوقة مع أساليبه وموضوعاته من جهة ثانية.

فأهل المنطق جعلوا الاستدلال على قسمين مباشر وغير مباشر على طريقة التقسيم الأرسطي ثم قسموا الاستدلال غير المباشر على القياس والاستقراء والتمثيل[٥٥] وحلا لباحثين أن يجعلوا أساليب الاستدلال وآلياته وفقاً لعناوين ومفاهيم أهل المنطق ولعلي التمسُ لهم عذراً كونه حركة فكرية تؤدى من خلال عمليات عقلية متلاحقة تربط بين السبب والنتيجة للوصول إلى حكم. فقالوا بالاستدلال من خلال السرد والتقسيم، والترقي والتدلي، والاختراع، والقول بالموجب، والتسليم، والانتقال أو الهدم، والاستدراج والقياس، أو التوسع، أو

(٥٤) ظ/ منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة/ ١١٥ -١١٧.

(٥٥) ظ/ مثلًا: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة/ ١٣٨.

المناقضة إلى غير ذلك[٥٦] ولعل اعتقادنا اليقيني «بأن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين»[٥٧] فحديث القرآن وأساليبه وآلياته في الاستدلال أوسع من تقنين المتكلمين أو المناطقة؛ لأنه يقوم على شمولية النظر الاستدلالي، وتكامله مع الوجدان والذوق والبيان وهو ما تركن له النفوس، وتطمئن إلى حكمته القلوب مع كونه مبرهناً عقلاً ومنسجما مع البديهة والمنطق[٥٨].

وبعبارة أخرى: لا يمكن أن ننظر للاستدلال القرآني من خلال بعده البرهاني العقلاني البديهي، من دون أن نشفع نظرنا إلى جانبه الآخر وهو اعتماده على خطاب فطرة الانسان ونزوعه الوجداني النفسي واعتقاده واطمئنانه إلى ما يتلاءم مع نقاء فطرته ومدارك حواسه؛ من هنا احسب أن النظر إلى الخطاب الاستدلالي القرآني لا يمكن الفصل بين شقيه أبداً، ولربما نباين الصواب عندما نعتمد جانباً على حساب الآخر سواءً في التقسيم او غيره؛ وعليه أميل إلى أن الاستدلال يقسم على قسمين وهما:

أ. الاستدلال الصريح:

وهو المبرهن عقلاً ووجداناً وتكون حجته ودلائله واضحة مذكورة صريحة في الآية ولعله أعتمد أكثر من برهان ودلالة وانتقل من مقام إلى أخر ومن قضية إلى أخرى في برهانه كقوله تبارك شأنه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم

(٥٦) ظ على سبيل المثال/ الإتقان في علوم القرآن/ النوع ٦٨/ ١٢٦٥، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد/ ٤٠١، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة/ ١٧٦.

(٥٧) البرهان في علوم القران/ ٢/ ١٧.

(٥٨) ظ/ الاستدلال في القرآن/ محمد هادي معرفه/ ٩٠.

بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٢ – ١٩].

ب. الاستدلال بالإشارة والتلويح:

ويعتمد على تقرير معنى الإلوهية والربوبية وما يستلزمها من إشارات إلى القدرة على الخلق والإحياء والإماتة والرزق والعدل كل ذلك يشير ويعبر بالتلويح عن الاستدلال ويراد منه الدعوة إلى التفكّر والتأمل من جهة[٥٩]، أو أن هذه القضايا بدرجة من الصدق والتبيان والظهور والجلاء بما لا حاجة لها إلى برهان أو دليل صريح إنما فطرتنا النقية خير دال عليها، وموصل اليها، قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [سورة ص: ٢٨] وقوله تبارك اسمه: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة غافر: ٥٨] ومن لطائف الأسلوب القرآني الاستدلالي إن هذا القسم من الاستدلال جاء مسبوقاً وملحوظاً بالاستدلال الصريح ولعل الإيتاء به على هذه الشاكلة قد يكون من باب التقرير وتثبيت المعنى في الألباب كما هي الغاية من ترسيخها في القلوب والوجدان.

وأرى أن آلية انتزاع الدلالة للوصول الى الحكم من خلال بُعدَي الاستدلال أمكنُ في الهداية والإرشاد، وإقامة الحجة وإحقاق الحق والصدق من الاعتماد على أحدهما من دون القول بالآخر أو إغفاله.

ومن الجدير بالذكر ان قوة الخطاب الاستدلالي القرآني، وفخامته اللغوية الأسلوبية إنما هي محصلة استيعابه منهجين فعّالين، وأسلوبين مؤثرين في الآخر المخاطب وهما:

الأول: أسلوب السؤال الاستنكاري:

الذي يراد منه تقرير الحقائق وإثباتها وتوكيد معانيها ودلالاتها في النفوس،

(٥٩) ظ/ منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة/ ٢٥٦.

وذلك أن الاستفهام يحتاج إلى جواب والجواب الذي يقام على التقرير إنما هو كشف عن وجوده في لباب المسؤول ووجدانه، وهنا يكمن رجوع المخاطب إلى نفسه، والاحتكام إلى فطرته وبديهته ثم الوصول إلى الاجابة (الحكم) التي يحكمها ويقوّم آلياتها، ويوازن غاياتها، منطقه البرهان وعقلانيته، والوجدان نقاؤه.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة النمل: ٥٩ – ٦٤].

الثاني: أسلوب التمثيل والتصوير:

ويراد به تقريب صورة من أخرى أو معنى من آخر، وقد يكون هذا التقريب التمثيلي أو التشبيه لمعنى طرفاه عقليان، أو حسيان أو مختلفان حسي بعقلي أو عقلي بحسي، وغايته على كل الأحوال هنا إيضاح مقاصد الاستدلال وغاياته واعتبار وضوح احد الطرفين من الآخر وأثره فيه[٦٠] ولا يخفى اثر التمثيل والتصوير في الاستدلال فانه يختصر المعنى ويوجز الدلالة ويظهرها مشهداً متماسكا وان تعددت جوانبُهُ واختلفت أشخاصه[٦١] قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [سورة الكهف: ٤٥].

ليس هذا فحسب فالتمثيل يقرر

(٦٠) ظ/ الامثال في القران/ ابن القيم/ ٤٦، التصوير الفني في خطب نهج البلاغة/ ٥٧، الأثر القرآني في نهج البلاغة/ ١٨٨.

(٦١) ظ/ الأثر القرآني في نهج البلاغة/ ١٩٧.

ويشخص المعنى في صورة يرسمها الخيال وينتقل بها من مجرد كونها فكرة ذهنية الى تجسيد يقرب من الحس والإدراك العياني، وكأنه واقع ملموس مشاهد، المخاطب حاضر فيه، يدرك أبعاده ويستوعب غاياته، ولاسيما وهو يتحرك في حدود منطق البداهة والفطرة. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النحل: ٧٥-٧٦].

اخلص من ذلك إلى أهمية أسلوبَيْ الاستفهام التقريري والتمثيل في ترسيخ قضايا الاستدلال وموضوعاته في العقول والقلوب، ولاسيما أنها تأتي في مجالات تقتضي توظيفها في الإقناع و الإثبات والإلزام، فقد ساد الاستدلال مجالات الجدل والحجاج والمناظرة، وغالبها قد حكى القران الكريم فَحْواها في قصص الأنبياء. وما جرى من حجاج وجدل ومناظرة مع أقوامهم المعاندين، وكيف كان موقف السماء منهم، ولعل ذلك كان المسوغ لمن ألف في علوم القرآن إن يجعل الاستدلال تبعاً للجدل، ولم يذكروا الاستدلال بوصفه علماً من علوم القرآن على الرغم من سعته على صعيد النص وفاعليته في الخطاب القرآني وأهميته في مسار الدعوة، فجاء في برهان الزركشي ضمن عنوان معرفة جدل القرآن، والأمر نفسه جرى عليه السيوطي في الإتقان.

أستنتج من خلال ما مضى أهمية الاستدلال في القرآن الكريم كونه يمثل منظومة لها أبعادها في الفكر والخطاب القرآني، وله أهدافه الوظيفية والسلوكية في تنمية المنهج الصائب والصحيح في مسائل الاعتقاد والإيمان، ولعلك تصل إلى ذلك من خلال المعاني التفسيرية التي يمكن استكشافها من خلال مظاهر مقاصد الآيات القرآنية الكريمة ودلائلها.

للبحث صلة في العدد القابل ان شاء الله – تعالى–.